

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

أنماط الخط المغربي على المخطوطات الجزائرية في الفترة العثمانية

مخطوط "التحفة المرضية" نموذجا

Styles of The Maghreb Script on Algerian manuscripts

In the Ottoman Period

The manuscript «atuhfa almurdiya» as an Example

المختار حمزة Hamza Mokhtar، عبد الحق معزوز Mazouz Abdelhak

جامعة الجزائر 2، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)

University of Algiers 2, Laboratory of civilizational construction

(of the Middle Maghreb (Algeria

abdelhak.mazouz@univ-alger2.dz / mokhtar.hamza@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل: المختار حمزة Hamza Mokhtar الإيميل: mokhtar.hamza@univ-alger2.dz

تاريخ القبول: 2020-12-11

تاريخ الاستلام: 2020-08-27

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز بعض أنماط وصور الخط المغربي على المخطوطات الجزائرية في الفترة العثمانية؛ وذلك من خلال دراسة مخطوط جزائري كنموذج نصف صور كتابة الحروف فيه، ونستخرج ملاحظات حول أنماط كتابتها. ودوافع استعمال هذه الأنماط.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن هذا النموذج تضمن تنوعا في صور كتابة الحروف وأنماطها، فرضته دوافع عديدة تتعلق غالبا إما بمهارة الخطاط أو بمواد الكتابة. وهذا مما يدل أن فن الخط المغربي بالجزائر كان وقتها على قدر من الإتقان والاهتمام. ما دام يحوي كل هذا التنوع في أنماط كتابته.

كلمات مفتاحية: الخط المغربي؛ المخطوطات الجزائرية؛ العهد العثماني؛ أنماط الخط؛ الحروف

Abstract :

This Study Aims To highlight some Styles and Forms of The Maghreb Script on Algerian manuscripts in the Ottoman period; And that by studying an Algerian manuscript as an Example; We describe Forms of writing letters in it, and make notes about their writing styles. And the motives for using these styles.

This Study concluded that this Example included a variety of forms and styles of writing letters, imposed by many motives, often related to either the skill of the calligrapher or the writing materials. This indicates that the Maghreb Script in Algeria was at that time a degree of perfection and interest. As long as it contains all this diversity in writing styles.

Keywords: The Maghreb Script; Manuscripts; the Ottoman period; Script styles; The letters.

1. مقدمة:

المغربي. الذي كان الأكثر انتشارا في العهد العثماني بدليل ما وصلنا من نسخ خطية كثيرة كتبت به بالمقارنة مع عدد نسخ الخطوط المشرقية، ولهذا تم اختياره دونها.

فما هي هذه الأنماط والصور التي تميز بها الخط المغربي من خلال هذا النموذج؟

ضمن هذه الإشكالية يمكننا أن نتساءل أيضا عن أسباب ظهور هذه الأنماط والصور المتنوعة. يمكننا افتراض وجود علاقة بين مستوى براعة الخطاط أولا وجودة أدواته ثانيا وبين وفرة هذه الأنماط وتنوعها. ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي:

تميزت الجزائر خلال العهد العثماني بحركة علمية واسعة أنتجت لنا تراثا مخطوطا ضخما، كتب بأنواع متعددة من الخط العربي، كان أبرزها الخط المغربي بصوره العديدة التي دلت على ثراء هذا الخط وانتشاره الواسع بين النساخ والخطاطين الجزائريين.

ويعتبر مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمؤلفه وناسخه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري (ت بعد 1159هـ/1746م)، أحد هذه النماذج الرائعة التي حوت أنماطا متعددة للحروف بالخط

المغربي بإغفال نقط الحروف الأخيرة التالية: ن، ف، ق، ي، وفي عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالي.⁶ وأشهر الخطوط المغربية هما: خط المبسوط؛ وهو الذي كتبت به المصاحف؛ ويتميز باحتفاظه بحروف يابسة ورثها من الخط الكوفي، والبسط هو استقامة الحروف من غير تقويس. وخط المجوهر: وهو المستعمل في التدوين والمراسلات؛ تغلب عليه الليونة والسرعة، ويتميز بميل طوالعه نحو اليمين؛ وقيل إنه سعي كذلك تشبها له بالجواهر.⁷

وفي الجزائر خصوصا، توزعت الأنواع المشتهرة بين نواحيها المتعددة؛ فاستعمل الأندلسي أحيانا في الجزائر العاصمة بالذات؛ لانحدار الكثير من أهلها من أصل أندلسي، إلا أنهم لم يقلدوا الأندلسي تقليدا أعمى، والقيرواني في شرقها، واقترب الخط في وهران وتلمسان من الخط الفاسي المغربي بشكل واضح⁸

مع تأثر قسنطينة بالخط التونسي وحفاظها على الشبه القيرواني.⁹

2.2 التعريف بالمخطوط النموذج:

توجد عدة نسخ مخطوطة من التحفة المرضية¹⁰ ونسختنا هذه محل الدراسة هي النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1625. نُسخَت عام 1121هـ/ 1710م نقلا عن مسودة بخط مؤلفها في حياته (Manuscrit Apographe)، وهي نسخة فاخرة مزخرفة بماء الذهب في بداية المخطوط ونهايته، وتحتوي على تاريخ محمد بكداش¹¹ داي الجزائر من سنة 1118هـ/ 1706م إلى 1122هـ / 1710م كتبت فصولها على شكل مقامات. تتكون النسخة من 187 ورقة، بمقاس 213/160مم، في كل صفحة اثنا عشر (12) سطرا، ألفها أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري (كان حيا عام 1152هـ/ 1740م)،¹² ولعل هذه النسخة هي نفس النسخة التي ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنها محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس، لأنهما تتشابهان في رقم الحفظ وحتى في تاريخ النسخ، فلعلها أهديت فيما بعد إلى المكتبة الوطنية الجزائرية؛ وقد قال عنها أنها كانت في مكتبة فاللي (Vallier)، وقد قام ليون فاي بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها عام 1366هـ/ 1946م؛ أما الأصل العربي فقد قام بتحقيقه الباحث محمد بن عبد

- إبراز أنماط كتابة الحروف في الخط المغربي هذا النموذج، من خلال وصف صورها وصفا دقيقا، واستخراج ملاحظات خطية في كيفية كتابة كل حرف على حدة.
- اكتشاف أهم الأسباب التي دعت إلى ظهور أنماط متعددة للحرف الواحد، منفردا أو مركبا.

سنستهل هذه الدراسة بالجانب التمهيدي، الذي نورد فيه لمحة عن الخط المغربي، ثم تعريفا بالمخطوط وبمؤلفه، وننتقل بعد ذلك إلى النموذج المخطوط محل الدراسة لوصف فن الخط به عموما؛ ثم انطلاقا من جدول لصور الحروف أدرجناه في الملاحق؛ نشرع في وصف أنماط كتابة الحروف حرفا حرفا كما وردت في النموذج، نختم ذلك كله بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هاته الدراسة بالإضافة إلى بعض الاقتراحات التي نطمح أن تكون مهمة ونافعة.

2. الجانب التمهيدي

1.2 لمحة عن الخط المغربي:

عندما تلقى المغاربة الخط الكوفي في عصوره الأولى قاموا بإحداث تغيير طفيف في الاستعمال، وأصبح الأسلوب المغربي يعتمد على الكتابة المدورة التي يسهل التعرف عليها،¹ والغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر ذا طابع شرقي محض، تأثرا بكتابة الفاتحين العرب؛ ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا بالقيروان.²

وفي مطلع القرن الرابع الهجري، كان طلبة الفقه بالقيروان ما يزالون يدرسون نصوصا مكتوبة بالخط الكوفي ويستعملونه أيضا في كتابتهم، إلا أنهم بدءوا منذ ذلك العهد يلطفون من حدة الزوايا المكونة لأشكال الحرف والتي تُعسّر تسطيرها وتُبَيِّنُه؛ ذلك التحول الذي ظهر جزئيا في قطعة من مدونة سحنون كتبت عام 334هـ/ 946م، ليظهر جليا في قطعة موضوعها فقه النوازل عند المالكية - اكتشفت مع القطعة السابقة في جامع القيروان -؛ والتي تقدم علامة قاطعة للشك عن التحول المباشر من الخط الكوفي إلى الخط المغربي³، ولعل في هذا إشارة إلى ارتباط انتشار الخط المغربي بانتشار المذهب المالكي.

وأشهر المدارس الخطية التي نسب الخط إليها في المغرب والأندلس هي: القيروان، فاس، الأندلس والسودان.⁴ ويشترك الخط الأندلسي مع المغربي في طريقة النقط مثلا، فالفاء لا توضع فوقها نقطة كما يضعها المشارقة؛ وإنما تجعل أسفلها، والقاف توضع فوقها نقطة واحدة بدل نقطتين⁵، ويتميز الخط

الكريم،¹³ ونشر بالجزائر عام: 1391هـ/ 1972م؛ في 413 صفحة.¹⁴

3.2 التعريف بالمؤلف:

هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري، ولد بمدينة الجزائر من عائلة اشتهرت بالعلم، كما أخذ العلم على العديد من علماء مدينة الجزائر، وتلمذ عليه ابن حمادوش:¹⁵ وهو الذي ذكره في رحلته بقوله: "القاضي الأديب، له ثقافة واسعة"، عرف بنظمه للمقامات، ومشاركته في مجالس النقاشات العلمية، بين بعض علماء الجزائر؛ ما عرضه لحسد بعض معاصريه، فاعتزل الوظيفة وتفرغ للتأليف، ونظم الشعر؛ ومن أشهر مؤلفاته: سيرة الداوي محمد بكداش تحت عنوان "التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، والتي كانت مثار اهتمام وتقدير معاصريه؛ توفي بعد عام 1159هـ/ 1747م.¹⁶

3. وصف لفن الخط على المخطوط النموذج

1.3 وصف عام

كتبت النسخة بخط مغربي، أما نظام السطر فيها فهو منتظم إلى حد كبير (اثنا عشر (12) سطرا)، والملاحظ هو وجود فجوات واسعة بين الكلمات مع تباعد قليل بين الأسطر، وقد استعمل الحبر الأسود في كتابة الحروف وفي الشكل والإعجام أيضا. وقد كتبت بعض الكلمات المهمة بحبر ذهبي وبخط ثلث مغربي غليظ لشد الانتباه إليها¹⁷، كلفظ الجلالة واسم النبي الكريم محمد ﷺ، أو أسماء الأعلام، وبداية الفقرات حين يريد الناسخ شد انتباه القارئ، مثل (نشكرك، نحمدك، سميته، كمل بحمد الله تعالى)، أو عناوين المقامات التي تتضمنها النسخة، لكنه في نفس الوقت قد يفسد تناسق كلمات النص في مظهرها العام بما يخلقه من تباين بسبب سمك قطة القلم.

3.2 وصف صور الحروف الواردة على النموذج. (انطلاقا من

الجدول رقم 01)

3.2.1 الأحرف القائمة أو المستعلية:

3.2.1.1 الألف:

معتدل الطول محرف¹⁸ وينتهي في أعلاه بزلقة تزيينية غير واضحة تماما في الغالب (صورة:1)، ويبقى محافظا علما حتى في حالة التركيب أين تنعطف تلك الزلقة نحو اليسار (صورة:2).

3.2.1.2 اللام المفردة:

هي عبارة عن ألف أضيف إليه حوض النون المقعر بوضوح ويكون أكثر إرسالا في اللام المتطرفة (صورة 64، 67). وتظهر الزلقة التزيينية¹⁹ مثل التي تعلو حرف الألف، في اللام المُبتدأة والمتوسطة (صورة 65، 66).

3.2.2.2.3 الأحرف المستوية ذوات السن:

3.2.2.1.2 الباء والتاء والثاء:

في حال الإفراد لاحظنا أن سِنَّ التاء فقط هي التي تكون معتدلة الطول ومعقوفة إلى الداخل قليلا، مبسطة البدن²⁰ بشكل أفقي (صورة 4)، عكس الباء والتاء أين تتميزان بإدغام السن الأولى حد الإخفاء وعدم بسط بدنها بل يكون مجموعا إلى أعلى كأنه يُظَلَّلُها (صورة 3، 5)، أما في المبتدأة فإن الحروف الثلاثة تتشارك في أن سِنَّها تكون معقوفة إلى الداخل، ومعتدلة الطول (الصور 6، 7، 8)، وإذا وقعت هذه الحروف متوسطة فتظهر سنّها معتدلة الطول لكنها غير معقوفة (الصور 9، 10، 11)، ويلاحظ على الباء وأختها عند التطرف أنها مجموعة فتتميز بسن يكاد يكون مدغما حد الإخفاء، مع استطالة بسيطة في بدنها الذي ينتهي بسن صغير (صورة 12، 13). ولعل تلك الاستطالة جاءت في المتطرفة دون غيرها لخلق توازن في المظهر العام للكتابة. ويتميز عنها حال الإفراد حرفا النون والياء، ويشابهانها في حالات التركيب توسطا وابتداء (الصور 75، 76، 90، 91).

3.2.2.2.3 النون:

نلاحظ أنها عبارة عن حوض متسع متوسط التقوير (صورة 74)، غير أن كاتبه لم يوازن بين درجة التقوير في نصف الحوض الأيمن مع نصف الحوض الأيسر للنون، فلم يتمكن في إتمام حوض النون ليشكل نصف دائرة متوازنة، ما يدل على عدم طول نَفَس الخطاط هنا، والملاحظ أن التماثل في شكل الحوض يكون في الحروف ذوات الأحواض في السطر الواحد فإذا ما ان انتقل إلى السطر الموالي أو كانت النون متطرفة، فقد ناسخها درجة التقوير²¹ السابقة وأظهر لنا درجة أخرى (صورة 77)، ولعل هذا يدل على أن الكاتب لم يصل إلى درجة البراعة التي تمكنه من الاحتفاظ بنفس نسق رسم الأحواض لصفحة كاملة على الأقل، أو لعل لحسن قطع قطة القلم أو جودة الورق دور في هذا، ومن المؤكد أن لمكان وقوع الحرف في السطر دور يتحكم في حجمه، كل هذا يعتبر من الدوافع التي تدفع الخطاط

لاستعمال أنماط خطية دون أخرى وصورا متنوعة للحرف الواحد كالخط المغربي في حالتنا هذه.

3.2.2.3 الباء:

لتشابه حرف الباء مع حروف الباء وأختها حال الابتداء والتوسط (صورة 90، 91) فإننا نقصد بالباء هنا الباء المفردة والمتطرفة. ويلاحظ أنها حال الأفراد تكون مجموعة فتبدأ بعقيفة منثنية نحو اليمين لتتصل بحوضها المقتبس من حوض النون لكنه يتجاوز هنا نصف الدائرة في حجمه (صورة 89). كما ركب الخطاط الباء المفردة والمتطرفة على شكل ياء راجعة إلى الخلف أو تدعى سيفية فتنتقل إلى اليمين كأنها سيف مسلول²² (الصورة 88، 92). وهذا أيضا من صور التنوع في كتابة الباء في الخط المغربي. ويختلف في ذلك كل خطاط عن الآخر حسب النمط المعتمد.²³

3.2.2.3 السين والشين:

نلاحظ أن للسين والشين في جميع حالاتهما ثلاثة أسنان تشبه الأولى منها سن الباء المبتدأة في انعقادها إلى الداخل (الصور 6، 7، 8). وتشبه في سنهما الباقيين أيضا سن الباء المتوسطة (الصور 9، 10، 11). أما حال الأفراد أو التركيب آخر الكلمة فيضاف لهذه الأسنان حوض النون إلا أنه يكون في المفردة أكثر تقويرا (صورة 35، 36) منه في المتطرفة (صورة 40)

3.2.3 الأحرف المدورة:

3.2.3.1 الصاد والضاد:

الملاحظ أنها محدبة في جميع حالاتها، كما ترسم على الطريقة المغربية عادة (صورة 42، 43)، وفي حال الصاد المفردة (صورة 41)، أو المتطرفة (صورة 44) بدأ الناسخ برسم الحدة من اليسار باتجاه اليمين ثم انتهى بالضلع المنسطح²⁴، ما جعل الخط يبدو سميكاً عند زوايا بدن الحرف. ويضاف إليها حال المتطرفة أو المفردة، حوض النون. إلا أنه يكون مبسوطة في الضاد المفردة ومجموعاً²⁵ في الضاد المتطرفة والتي يبدو فيها الحرف أكثر تقويراً أو تحديداً.

3.2.3.2 الطاء والظاء:

نفس ملاحظات الصاد والضاد فيما تعلق برسم البدن، وكأنها صاد تعلوها ألف مستقيمة. قد تخترق منتصف البدن كما

نلاحظ في (الصورة 46) أو تلامس يسار البدن كما في (الصورة 45)

3.2.3.3 الفاء والقاف:

جاءت الفاء المفردة أو المتطرفة مبسوطة (صورة 52، 58)، يشبه رأسها رأس الواو تقريبا. أما القاف فجاءت مقورة (صورة 53، 59) هذا في حالتي الأفراد أو التطرف تركيباً أما في المبتدأة والمتوسطة فإنهما لهما نفس الصفة، برأس مدور مفتوح الوسط؛ وقد روعي في إعجام الحرفين الطريقة المغربية التي تعتمد على نقط الفاء نقطة من أسفلها ونقط القاف بنقطة أعلاها (الصور 54 – 57).²⁶

3.2.3.4 الميم:

رأس المفردة والمبتدأة دائري صغير (صورة 70، 71)، ويتصل به -حال المفردة والمتطرفة- ذنب ينتهي بتعريقة مستديرة نحو اليمين (الصور 69، 72، 73). والملاحظ أن الناسخ قد رسم رأس حرف الميم المتطرفة على صفتين. الأولى أن يعقده كصورته المذكورة آنفاً، والثانية أن يطمسه أو يدغمه فيما قبله فيكون أشبه بالدائرة الصماء (صورة 73)، وقد رسم الناسخ حرف الميم المتطرفة عند زخرفته وتزيينه لبعض الكلمات المهمة أشبه بتعريقة مقلوبة مرسلة (صورة 68).

3.2.3.5 الهاء والتاء المربوطة:

رسمت مبتدأة على شكل حلقتين معقودتين بينهما والتي تسمى "وجه الهر"²⁷، وحجم الحلقة الأولى أكبر من الثانية (صورة 79). وتشبهها المتوسطة في أحد صورها (صورة 81).

أما متوسطة فجاءت مدغمة.²⁸ وهي أن يأتي قبلها سن لحرف مستقل قبلها فيصلها الخطاط بعمل قنطرة أو كشيدة بينهما تكون سببا في طمس الحلقة السفلى لحرف الهاء، وهذا ما يجعلنا نرى حرف الهاء يبدو وكأنه بحلقة علوية واحدة (صورة 80).

أما الهاء المتطرفة فلها أربع صور رئيسية حال اتصالها بما قبلها: فالأولى أن ترسم كحلقة هاء مستقيمة ومتصلة من اليمين بالكشيدة التي تعقف إلى أعلى، وقد خطها الخطاط هنا بأن بدأ بالصعود مع الكشيدة ثم نزل بها يسارا ليرسم حلقة الهاء ثم يعود بها إلى أسفل الكشيدة السابقة يمينا (صورة 82).

أما الصورة الثانية للهاء آخر الكلمة فهي الهاء المردوفة²⁹ وهي أن يصعد الخطاط بكشيدة حرف الباء في كلمة "الفقيه"

أنت المتوسطة والمتطرفة أقرب إلى الدال المخطوفة المبسطة³⁵ وهي تشبه الراء في أحد صورها (صورة 27، 28)، كما أنت في صورة أخرى عبارة عن نصف دائرة أو قوس محدب إلى اليمين، ويمكن أن نسميها الدال المجموعة (صورة 25). أما في صورة ثالثة فأنت وسط الكلمة أيضا عبارة عن زاوية 30 درجة رأسها ينطلق من اليمين. وينتهي ضلعها السفلي بزلقة تزيينية معقوفة إلى أسفل، وهذه الصورة مشهورة في الخط المغربي (صورة 26)، وهناك من شبهها بجناحي طائر بارز الصدر.³⁶

3.2.4.4 الراء والزاي:

إذا جاءت مفردة، مبتدأة أو متطرفة تكون عبارة عن راء مبسطة، مثل قوس مائل متجه بحدبته إلى اليمين، ومستند على أحد طرفيه في اتجاه اليسار (صورة 29، 32، 33). وقد تأتي عبارة عن راء مدغمة مركبة³⁷ (صورة 30، 31).

3.2.4.5 الكاف:

أنت بصورة كاف زنادية أو الكاف المبسطة³⁸ وهي عبارة عن ضلعين متوازيين، العلوي منهما يشكل بدن الكاف، والسفلي هو الخط القاعدي للكشيدة، تربطهما رقعة من اليمين، وينتهي الضلع الأعلى من جهة اليسار، بما يشبه زناد البندقية (ولهذا سميت بالكاف الزنادية)، يتجه مستلقيا نحو اليمين وينتهي بزلقة تزيينية غير واضحة تماما، وقد تستعمل هذه الصورة في حالة الأفراد، وفي كل حالات التركيب عدا المتطرفة (صورة 61).

كما جاءت حال الأفراد والتطرف على صورة كاف دالية (صورة 60، 63)، سميت دالية لأنها أنت مركبة من حرفين: حرف الدال في صورته المذكورة سابقا (صورة 26)، يعلوه ضلع منتصب مقتبس من الألف مع زلفة تزيينية. وجاءت أيضا بصورة قوس مقور محدب باتجاه اليمين، يعلوه ضلع مقتبس من الألف، مائل إلى اليمين (صورة 62). وتعدد الصور هو ما نعنيه بالليونة والانسيابية في الخط المغربي³⁹

3.2.4.6 لام الألف:

جاءت حال الأفراد محققة مسيلة⁴⁰ معقودة من أسفل، بينما يتنافر ضلعها إلى أعلى بشكل مائل، والضلع الأيمن محلى بشبه زلفة تزيينية؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن الخطاط قد بدأ كتابة الحرف انطلاقا من زلفة الضلع الأيسر، وانتهى برسم الضلع الأيمن وزاد في مده ليظهر أكثر استطالة من نظيره. (صورة 94)

مثلا إلى أعلى ثم يعود على نفس المسار إلى أسفل الكشيدة ويخرج منها نحو اليسار حلقة الهاء التي تصعد لتتقاطع نهايتها مقصبا مع أعلى الكشيدة الأولى (صورة 85)

والصورة الثالثة هي الهاء المخطوفة³⁰ تقريبا، وهي صورة بسيطة إلى حد بعيد أين اقتصر الناسخ على الصعود بالكشيدة إلى ارتفاع معتدل ثم نزل بها يسارا، فجاءت التاء المربوطة أشبه بساق مثلث متساويين. (صورة 84).

أما الهاء المميزة بين كل الصور، فهي التي جاءت بطابع زخرفي يسمى الحرف فيه حرفا مسلسلا³¹ فشكلت بتداخلاتها أربع حلقات متجاورة انتهت بزلقة تزيينية (صورة 83)؛ وأنت الهاء حال الأفراد بسيطة تشبه الرقم ستة (صورة 78).

3.2.3.6 الواو:

حال الأفراد هي واو مرسله (صورة 86)، أما حال التركيب فتكون أقرب إلى التقوير منها إلى الإرسال، تتكون من رأس الفاء وجسم الراء (صورة 87).

3.2.4 باقي الحروف:

3.2.4.1 الحاء وأختاها الجيم والحاء:

كثبت حال الأفراد أشبه بالحاء المرسله، وتعريفها غير معقوفة إلى أعلى (صورة 14، 15)، أما المتطرفة فهي أشبه بالحاء المجموعة لكن عراقتها غير مجموعة إلى أعلى تماما (الصور 22 – 24). وفي المبتدأة والمتوسطة فإن الحوض يحذف، ونجد رأس الحاء أو أختاها يرتكز على خط منسطح هو الكشيدة نفسها وتسمى هنا الحاء الرتقاء³² (الصور 16 – 18)، لكن صورة الحاء المتوسطة لا تظهر تماما فقد أدغمت في الخط المنسطح أسفلها. (الصور 19 – 21)

3.2.4.2 العين وأختها:

تشكل حال الأفراد من رأس واستدارة تكون أشبه باستدارة العين المرسله، إلا أن تعريفها أكثر انعقافا نحو الأعلى (صورة 47، 48)، رأس العين المفردة أو المبتدأة أقرب إلى عين فك الأسد³³ (صورة 48، 49)، والعين المتوسطة عبارة عن شبه مثلث صغير رأسه نحو الأسفل يستند على الخط القاعدي للكشيدة، وتسمى "العين المربعة"³⁴ (صورة 50)، وهي نفسها إذا وقعت متطرفة، مع تعريفها شبه مرسله (صورة 51).

3.2.4.3 الدال والذال:

في كتابة الحرف الواحد. وهذا ليس قاعدة عامة، لكنه يظهر الفرق بين تعلم الخط عبر قواعده المنضبطة، وتعلمه تلقينا وتدريباً دون مراعاة للقواعد. وهو ما يسمى بالحريّة التشكيلية في الخطوط المغربية.⁴²

- قد تساهم وسائل الكتابة اختياراً أو إجباراً في تعدد أنماط الحرف الواحد، كسُمك قِطْعَة القلم، أو نوعية الحبر المختار، أو درجة معالجة الورق وسُمكه. وهو ما يظهره التباين الحاصل في درجة التقوير بين أحواض الحرف الواحد كالنون أو ما يشبهه.

- لمسة الخطاط واتجاه حركة يده، دافعان مهمان في ظهور أنماط متعددة للحرف الواحد، وهو ما يظهر جلياً في بدن الصاد، أين بدأ الخطاط برسم بدن الصاد من اليسار إلى اليمين؛ وكانت ستبدو حتماً بنمط مختلف لو بدأ رسمها من اليمين إلى اليسار أو بدأ بضلوعها السفلي ثم حديتها وهكذا.

- تعتبر الزخارف والإطارات المنفذة على الصفحة قبل الكتابة، ومكان وقوع الحرف في السطر أيضاً دوافع تفرض على الناسخ أنماطاً وأحجاماً معينة؛ فقد يجد المساحة الكافية لكتابة الحرف أو مد حوض النون أو القاف مثلاً في أول السطر، في حين أنه يجد نفسه محصوراً بمساحة معينة إذا وصل لآخر السطر أو كانت الصفحة مجدولة أو مؤطرة سلفاً، مثلما نرى في نسختنا هذه.

- كل هذا التنوع في كتابة المخطوطات الجزائرية بأنماط مختلفة من الخط المغربي يطرح سؤالاً مفاده: هل يمكن أن تستعمل كل هذه الأنماط وغيرها دون أن يكون لها مسميات تميز بعضها عن بعض ولو محلياً؟ بعيداً عن تسميات الخط المغربي المجوهر والمبسوط وغيرهما. وهذا ما يدفعنا إلى اقتراح مشروع تتبع التسميات الجزائرية لأنماط الخط المغربي التي كتبت بها المخطوطات الجزائرية، ولا يكون ذلك إلا بتتبع الإشارات العابرة في المصنفات المخطوطة، أو عبر إجراء مقابلات مع الطلبة القدامى للزوايا والكتاتيب وتجميع التسميات المختلفة للخطوط التي كانوا يكتبون بها؛ ومحاولة الترجيح بين هذه التسميات بكل موضوعية وحيادية علمية.

كما جاءت مفردة في صورة ضلعين مائلين يلتقيان في القاعدة كشكل حرف (V) بالفرنسية؛ إلا أن الضلع الأيمن محدّب باتجاه اليسار أو إلى الداخل، وينطلق حرف الألف من أعلى الضلع الأيسر من الداخل أشبه بقوس محدّب إلى اليمين يتقاطع مع الضلع الأيسر (صورة 93).

وقد تأتي مفردة أيضاً أشبه باللام الوراقية⁴¹، عدا أن الضلع الأيسر ينتهي بزلفة تزيينية متدلّية نحو اليسار؛ وقد تلتقي مع الزلفة التزيينية آخر الضلع الأيمن ليشكلا حلقة (صورة 95). أما حال التركيب، فاللام هنا أشبه بزوايا قائمة ضلعها الأفقي متجه إلى اليسار، ومحدّب إلى الأسفل قليلاً، وتكون الألف عمودية عليه، لتقسمه نصفين تقريباً (صورة 96)

4. خاتمة:

يعدّ مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لأبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري؛ نموذجاً جزائرياً رائعاً، وعينة عاكسة لما امتلكه الخط المغربي خلال الفترة العثمانية في الجزائر، من أنماط وصور؛ جعلت منه أكثر الخطوط استعمالاً في المخطوطات الجزائرية حينذاك، ومن دراستنا لهذا النموذج، وعرضنا لتلك الأنماط والصور يمكن أن نستنتج ما يلي:

- استعمال أكثر من صورة للحرف الواحد في كتابة هذا المخطوط، دليل على ثراء الخط المغربي وتنوع صورته؛ وإلا فكيف نفسر كتابة اللام ألف المفردة مثلاً بأكثر من صورة في مخطوط واحد.

- بعيداً عن تنوع صور الحروف باختلاف مواضعها في الكلمة بين مبتدأة ومتوسطة ومتطرفة، فإن تنوع صورها في نفس الموضع، لهو خير دليل على أن للخط المغربي أنماطاً عديدة منحت الخطاطين فسحة وسعة جعلتهم يُقبلون على الكتابة بهذا الخط.

- الشذوذ الحاصل في بعض صور الحروف أحيانا (كأحواض النون والسين مثلاً)، يدل على أن بعضاً من الأنماط التي شاهدها قد تعود في الأصل إلى نمط واحد، لكن مستوى الناسخ ضعفاً أو إتياناً؛ هو الذي يدفعه لأن يظهر أكثر من نمط

5. الملاحق :

الحروف المفردة	الحروف	المركبة في أول الكلمة "مبتدأة"	المركبة في وسط الكلمة "متوسطة"	مركبة في آخر الكلمة "متطرفة"
أ	1			2
ب ت ث	3 4 5	6 7 8	9 10 11	12 13
ج ح خ	14 15	16 17 18	19 20 21	22 23 24
د ذ	25 26			27 28
ز ر	29	30 31		32 33
س ش	35 36	37 38	39	40
ص ض	41	42	43	44

ط ظ	45	46	
ع غ	47	48	49
ف ق	52	53	54
ك	60	61	62
ل	64	65	66
م	68	69	70
ن	74	75	76
هـ	78	79	80
و	86		87
ي		90	91

جدول رقم: 01 صور الحروف في مخطوط التحفة المرضية في الدولة	92			88	89
	96			94	93

البكداشية في بلاد الجزائر المحمية المصدر: من إعداد الباحث



صورة 96: صورة لبداية مخطوط التحفة المرضية. المصدر: من تصوير الباحث

6

- أحمد الرفاعي، نظم لآل السمط في حسن تقويم بديع الخط،
دراسة وتحقيق محمد صبري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2013.

. قائمة المراجع:

• الكتب:

- عفيف بهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1995

• المقالات:

- فائزة براهيم، أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف ومراحل تطورها، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، ع6، 2018

- امبارك بوعصب، المصاحف القرآنية المخطوطة وعلاقتها بتطور الخط المغربي، مجلة جماليات، جامعة مستغانم، العدد3، ديسمبر 2016.

- محمود شكر الجبوري، الخط العربي في شمال إفريقيا، مجلة المختار الإلكتروني، ع12، جويلية 2012.

- هوداس، محاولة في الخط المغربي، تعريب عبد المجيد التركي، مجلة الحوليات التونسية، عدد3، 1966.

• مواقع الانترنت:

- مسعود فلويسي (2017)، ترجمة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري، موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، <https://shamela-dz.net>، تاريخ الزيارة: 2020/11/24.

7. هوامش:

⁴ محمد سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة. من القرن الرابع إلى العاشر الهجري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 51.

⁵ فائزة براهيم، أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف ومراحل تطورها، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، ع6، 2018، ص 217.

⁶ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 45.

⁷ محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف...)، ص 47

⁸ هوداس، المرجع السابق، ص 213.

- رشيد بن مقدم، من نفائس مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، ج1، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2013.

- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبي القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

- عمر آفا ومحمد المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2007.

- محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 2، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ط1، 1991.

- محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي - تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

• المعاجم:

¹ محمود شكر الجبوري، الخط العربي في شمال إفريقيا، مجلة المختار الإلكتروني، ع12، جويلية 2012، ص 18.

² محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 2، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ط1، 1991، ص 17

³ هوداس، محاولة في الخط المغربي، تعريب عبد المجيد التركي، مجلة الحوليات التونسية، عدد3، 1966، ص 182، ص 187، ص 188، ص 189.

¹⁹ الزلفة هي نوع من الحليات التزيينية التي تضاف لبعض الحروف. ينظر: مبارك بوعصب، المصاحف القرآنية المخطوطة وعلاقتها بتطور الخط المغربي، مجلة جماليات، جامعة مستغانم، العدد3، ديسمبر 2016، ص42.

²⁰ يعتبر البسط من صفات الباء وهو رسم أجزاء الحروف مستقيمة لا تقويس فيها وهي عكس المقورة أو المدورة، والبسط أحيانا هو الإرسال إلى النهاية. ينظر: محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف...)، ص34.

²¹ التقوير هو التدوير أو التقويس، وهو من أهم صفات الخط اللين. ينظر: المرجع نفسه، ص37.

²² قال الرفاعي عن الباء: واليا من الذي كذاك لكن *** معكوسة بدون نقط كائن. ينظر: أحمد الرفاعي، نظم لآل السمط في حسن تقويم بديع الخط، دراسة وتحقيق محمد صبري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2013، ص115.

²³ قال الباحثان عمر آفا ومحمد المغراوي: "... فإن الخط المغربي أبي إلا أن يفتح الباب أمام تنوع الأساليب الفنية، فلا تكاد الحروف تتطابق بين خطاط وآخر... وهكذا يتنوع الخط الفني المغربي بتنوع الخطاطين الذين كتبوا به". ينظر: عمر آفا ومحمد المغراوي، المرجع السابق، ص56.

²⁴ أورد الباحثان عمر آفا ومحمد المغراوي نصا للكروسيقي عن تحسين الخط وأداب المؤدب يقول فيه: " ويلقنه هيئة الجلوس وكيفية قبض القلم واللوح، وأن الحف يبتدئ في وضعه من أمامه أو من أعلاه لا من خلفه أو أسفله..." وهو ما وافقه الخطاط هنا في رسم بدن الصاد. ينظر: المرجع نفسه، ص80.

²⁵ الجمع: هو إكمال تدوير العراقة والصعود بطرقها ممالا بسن القلم حتى تأخذ شكل نصف الدائرة كاملا. ينظر: محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف...)، ص34.

²⁶ فائزة براهيم، المرجع السابق، ص217.

²⁷ لأنها تشبه شكل "وجه الهر". ينظر: محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف...)، ص44.

²⁸ الإدغام هو مزج أجزاء الحروف في بعضها أو حذفها ويقع في الميم والهاء وفي الراء والنون. ينظر: المرجع نفسه، ص35.

²⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص44.

³⁰ الخطف هو إنقاص العراقة من آخر الحرف. ينظر: المرجع نفسه، ص35، 44.

³¹ ينظر: المرجع نفسه، ص42.

³² الحاء الرتقاء ما سُدَّ بين جيهتها وما فوق صدرها بقليل بخط ينظر: المرجع نفسه، ص35، 39.

³³ لأنها تشبه في شكلها فك الأسد. ينظر: المرجع نفسه، ص42.

³⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص42.

³⁵ وهي التي اختلس من نهايتها لكنها أرسلت ولم تُجمع إلى أعلى، ينظر: المرجع نفسه، ص40.

⁹ عفيف بهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1995م، ص12.

¹⁰ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي - تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص401.

¹¹ محمد بكداش أو باكداش أو باكتاش داي الجزائر سنة 1118هـ/ 1707م، توفي مغتالا سنة 1122هـ/ 1710م. وبكتاش كلمة تركية معناها الحجر الصلب. ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص112.

¹² رشيد بن مقدم، من نفائس مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، ج1، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2013، ص126.

- سيأتي تعريف المؤلف محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري في الفقرة الموالية.

¹³ العلامة محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري من برج زمورة، تعلم على مشايخها، ثم درس سنة 1952 بأحد فروع جامع الزيتونة لمدة سنة. ثم انتقل إلى فرنسا فدرس بها زمنا، له شهادات عليا في التاريخ والأدب. إلى جانب عشرات المؤلفات، والترجمات، والتحقيقات كتحيقه لمخطوط "التحفة المرضية". توفي في الجزائر سنة 2012، عن 88 سنة.

ينظر: مسعود فلوسي (2017)، ترجمة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري، موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، <https://shamela-dz.net>. تاريخ الزيارة: 2020/11/24.

¹⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص402.

¹⁵ هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد، ولد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ/ 1695م وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين. أَلَّفَ في العلوم الشرعية واللغوية وتميَّز في العلوم الرياضية والطبية وما شاكلها. ومن أبرز مؤلفاته رحلته المعروفة بـ"رحلة ابن حمادوش الجزائري". ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبي القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، صص: 9 - 10.

¹⁶ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص389-399.

¹⁷ أشار الباحثان عمر آفا ومحمد المغراوي عن استعمال خط الثلث المغربي لشد الانتباه حين قالوا: "فإن خط الثلث يبعث زخما حرقيا وحضورا تشكليا يقلص فراغات الفضاء ويقوي من وزن الحرف وسيطرته...". ينظر: عمر آفا ومحمد المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2007، صص: 55 - 56.

¹⁸ ينظر في تعريف هذا المصطلح: محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف...)، ص39.

³⁶ شهبها بأنثى الطائر كون جناحها وصدرها يبرزان حالة طيرانها وفي ذلك إشارة إلى بروز قوس الدال. ينظر أحمد الرفاعي، المصدر السابق، ص115.

³⁷ عن صورة الراء المدغمة المركبة، ينظر: محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف ...)، ص40.

³⁸ وهي الرسالة التي أطلقت عراقها من غير تقويس. ينظر: المرجع نفسه، ص ص: 35، 43.

³⁹ نغني بها أن كثرة صور الحروف وأحجامها المتباينة تسمح للحرف بتقمص أشكال غير متناهية، وخلق حالات تشكيلية معقدة. ينظر: عمر آفا ومحمد المغراوي، المرجع السابق، ص 56.

⁴⁰ الإسهال هو الاستلقاء أو الذهاب بجرة القلم في غير تكلف. ينظر: محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق (خطوط المصاحف ...)، ص ص: 35، 45.

⁴¹ ينظر: المرجع نفسه، ص45.

⁴² تكلم الباحثان عمر آفا ومحمد المغراوي عن الحرية التشكيلية فقالا: "ليس للخطوط المغربية قواعد قياسية مضبوطة، على شاكلة الخطوط المشرقية التي ضبقت بمقاييس نقطية استجابة لنظرية الخط المنسوب التي وضع أسسها ابن مقلة. لكن بالمقابل نجد في الخط المغربي حضور نوع آخر من المقاييس وهي المقاييس البصرية التي تعتمد على احترام شكل الحرف ونسبته بين الحروف، وانسجامه التركيبي وحيويته التشكيلية...". ينظر: عمر آفا ومحمد المغراوي، المرجع السابق، ص 56.